الفصل السابع
قوافل التائبين

١ ـ توبة الإمامَيْن ابن المبارك والفُضَيْل بن عياض[١]:

كانت آية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾[٢] سبب توبة إمام الحرم المكي في عهد التابعين الفُضَيْل بن عياض[٣] التميمي (ت ١٨٧هـ) والإمام عبد الله بن المبارك المروزي[٤] (ت ١٨١هـ) رحمهما الله تعالى وقد سُئِل ابن المبارك عن بدء زُهْدِهِ قال:

كنتُ يوماً مع إخواني في بُستانٍ لنا، وذلك حين حملت الثِّمار من ألوان الفواكه، فَأَكَلْنا وشربنا حتى الليل فنمنا، وكنتُ مولعاً بِضَرْبِ العود والطّنبور، فقمتُ في بعض الليل، فضربت بصوتٍ يُقالُ له راشين السَّحَر، وأراد سنان يُغني، وطائرٌ فوق رأسي على شجرة، والعُود بيدي لا يجيبني إلى ما أُريد، وإذا به ينْطِقُ كما ينطق الإنسان ـ يعني العود الذي بيده ـ ويقول:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾، قلت: بلى والله!

وكسرتُ العود، وصرفت من كان عندي، فكان هذا أول زهدي وتشميري.

وبَلغنا عن الشِّعْر الذي أراد ابن المُبارك أن يضرب به العود:

---

(١) انظر ذلك عند القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٥١).

(٢) سورة الحديد، الآية: (١٦).

(٣) من أكابر العُبّاد العلماء. كان ثقةً في الحديث، أخذ عنه خَلْق منهم الإمام الشافعي. وُلِدَ في سمرقند سنة (١٠٥هـ) وسكن مكة وتوفي بها. وكان يقول: «وإني لأَعْصي الله فأعرِفُ ذلك في خُلُقِ حماري وخادمي». وانظر ترجمته عند ابن الجوزي «صفة الصفوة» (٢/ ٢٣٧) ترجمة (٢١٨)، والذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٤٥).

(٤) هو شيخ الإسلام وإمام المسلمين في وقته عبد الله بن المبارك بن واضح، أبو عبد الرحمن الحنظلي، وُلِدَ عام (١١٨هـ) وكان مجاهِداً تاجراً ينفق على الفقراء في السَّنَة مائة ألف درهم. قال عنه الإمام أحمد: لم يكن في زمان ابن المبارك أطْلب للعلم منه وقد روى عنه. وجمع الحديث والفِقْه، والعربية، وأيام الناس والشجاعة، والسخاء. كان من سكان خُراسان ومات بهيت (على الفرات) منصرفاً من غزو الروم.
له كتاب «الجهاد» وهو أول من صَنَّفَ فيه، و «الرقائق» في مجلد. انظر ترجمته في «تاريخ بغداد» للخطيب (١٠/ ١٥٢)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨/ ٣٧٨) ترجمة (١١٢)، و «تذكرة الحفاظ» له (١/ ١٧٤)، و «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٣٢).

أَلَـمْ يَـأْنِ لـي منـكَ أنْ تَـرْحَمـا وتَعْـصِ العـواذِلَ واللُّـومـا
وتَـرْثـي لِصَـبٍّ بكـم مُغْـرَمٍ أقـام علـى هَجْـرِكُـمْ مَـأْتَمـا
يبيـــتُ إذا جَنَّـــهُ لَيْلُـــهُ يُـراعـي الكـواكِـبَ والأنْجُمَـا
ومـاذا علـى الظَّبـي لـو أنَّـهُ أحَـلَّ مِـنَ الـوَصْـلِ مـا حَـرَّمـا

٢ ـ قوافل التائبين في العصر الحديث في الشرق والغرب:

أولاً: العائدات إلى الله:

على مدى السنوات الماضية، بدأت ظاهِرة تطفو على السطح وتثير جَدَلاً: وهي اعتزال الفنانات للفن، وارتداؤهن الزِّيّ الإسلامي (الحجاب) وبقاؤهن في بيوتهن لرعاية أطفالهن من أحوال الدنيا ومتاهات الحياة، وكانت هذه الظاهرة هي امتداد لتيار إسلاميّ أكبر هو الصحوة الإسلامية التي بدأ النصف الثاني من هذا القرن يَشْهَدها، وهي اتجاه كثير من الفتيات والسيدات المصريات لارتداء الحجاب كتعبير واضح عن الالتزام بالتعاليم الإسلامية[١].

ولا شكّ أن اعتزال الفنانات والمغنيات الذي أثار ضجَّة إعلاميّة يرجع إلى أنهنَّ في دائرة الضوء، ويتمتعن بشعبية ومعرفة على المستوى الجماهيري...

وكانت لقاءات مجلة **«آخر ساعة»**[٢] مع الفنانات المعتزلات، وكذا بعض مُذيعات التلفزيون.

قبل أعوام فُوجيء الوسط الفني العربي وفي مصر بصورة خاصة بنبأ قرار المُطْرِبة والممثلة المعروفة «شادية» هجر حياة الليل واللهو، بكل ما تحفل به من إغراءات دُنْيَوِيَّة، والهجر إلى رحاب الإيمان بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد حيث الطهارة، والعِفَّة النفسيّة التي لا تُعادِلها متعة، والتحرّر الصادق من الآثام ودَنَس الشهوات وقذراة المعاصي... وبعد عام لحقت بها، أُخْتٌ لها في الله هي «شمس البارودي».

فَحَجَّتا معاً إلى بيتِ الله الحرام في مكَّة.

وما هي إلا أسابيع قليلة، حتى بدأ مواكب العائدات إلى الله يَكْبَرُ ويكبر، وقافلة المؤمنات القانتات العابدات، تطول وتطول حتى تغيَّرت المُعادلة التي كانت معروفة في الوسط الفني المصري، وانعكست الآية، بعدما تَحَوَّلت بيوت أولئك الفنّانات السابقات إلى مجالِسٍ تُقْصَدُ فيها حلقات الفقه والتفسير والأحاديث الدينيّة.

---

(١) انظر الهام أبو صوف **«فَنَّانات متحجِّبات»** دار القادري ـ بيروت، وكتاب **«العائدات إلى الله»** نشر دار الرسالة الإسلامية بيروت، وأسماء أبو بكر الجهني في كتاب **«من عالم الشهرة إلى رحاب الإيمان»** مكتبة ابن سينا ـ القاهرة.

(٢) العدد (٢٩٥٨) بتاريخ ٢١/ ١٢/ ١٤١١هـ الموافق ٣ تموز ١٩٩١م.

تقول السيدة الفاضلة «شمس البارودي» للداعية الإسلامية زينب الغزالي الجبيلي: «لو عدت إلى الوراء لما تَمَنَّيْتُ أبداً أن أكون من الوسط الفني، كنت أتمنى أن أكون مسلمة ملتزمة، لأنَّ ذلك هو الحق».

والطريقُ إلى الله لا يُغْلَقُ في وَجْهِ طارِقٍ...

تقول السيدة رابعة العَدَويّة:

الْزَمِ البابَ إنْ عَشِقْتَ الجمالا وَاهْجُرِ النَّوْمَ إنْ أرَدْت الوِصالا
واجْعَلِ الرُّوحَ مِنْكَ أوّل نقلٍ لحبيبٍ أنواره تتلالا

والعجيب أن المنتجين والشركات ورجال الأعمال يُحاربُون هؤلاء التائبات ويُصِرُّون على عرض أفلامِهنَّ قبل التزامهنّ بالإسلام تَصَوُّراً منهم أن هذا يُثنيهنّ عما أعانهنَّ عليه الله، وقد نَسَوْا قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾(١).

* **توبة المغنية «شادية»: أبداً لن أعود إلى السيرة الأولى:**

ما كان لِيُصَدِّق أحدٌ أن هذه الفتاة اللعوب (فاطمة أحمد كمال شاكر) المعروفة بشادية والتي أمضت أكثر عمرها في عالم الفنّ، سوف تقف في إحدى ليالي شهر رمضان المبارك من العام ١٩٨٦م في أحياء القاهرة لِتُغَنِّي قصيدة «خُذْ بإيدِي» للشاعرة علِيَّة الجَعّار.

لا، بل لم يكن أحد ليصدّق، أنَّ كلمات هذه القصيدة الدينية ستكون المَفْصل التاريخي في حياة (شادية)، وتنقلها بِقُدْرَةِ قادِرٍ من عالم اللهو والضلال إلى عالم النور والضياء.

وقد لا يعرف الكثيرون، أنَّ هذه الأغنية اختيرت في استفتاء الإذاعة والتلفزيون في مصر كأحسن أُغنية لأحسن مطربة في ذلك العام (١٩٨٦م).

وكان من المفروض أن تُقدِّم شادية سلسلة أخرى من الأغاني الدينية من تأليف الشاعِرة علِيَّة الجعَّار لولا أن جاءها الإذن من ربِّ العالمين لكي تعتزل الغناء...

وترتدي الحجاب ولو متأخِّرة (٤٥ سنة) بعدما اكتشفت أنَّ السعادة هي في التقرّب إلى الله.

لقد مضت الليل بطوله ساهِرة بعد أداء قصيدة «خُذْ بإيدي» حَيْرى، تستعيد في ذاكرتها صور حياتها الآفلة حتى توصلت إلى حقيقة تأبى الكثيرات مِنْ أترابها الإقرار بها.

ولم يطلع النهار، إلا وقد قَرَّرت أداء العُمْرة وزيارة قبر الرسول ﷺ.

وخلال أيامٍ قلائل، كانت تقسم في حضرة الروضة الشريفة وتحت القبة الخضراء أنْ لا عَوْدة أبداً إلى السيرة الأولى.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: (١٢٥).

ثم بَدَأت القافلة تزداد وتكبر لتضمّ مزيد من التائبين والتائبات.

*** مِنْ صالات الرقص إلى رِحاب الإيمان:**

هالة الصافي:

التي كانت قبل خمس سنوات تملأ «عالم الليل» في القاهرة رَقْصاً ولَهْواً وعَبَثاً... ها هي الآن بعد عودتها المُباركة إلى الله تجلس ساكِنة، هادئة، مطمئنة... أولى الفنانات المعتزلات للفنّ وارتداء الحجاب إثر رؤيا رأتها في المنام.

لقد أدَّت فريضة الحجّ أكثر من مرَّة، وتحرص على حضور مجالس العِلْمِ سَعْياً لِفَهْمِ دينِ الله الحنيف.

*** انضمام المغنية المصرية ياسمين الخيّام إلى القافلة:**

أما «أفراح محمود خليل الحصري» المعروفة بياسمين الخيّام المُطْربة، فقد اختارت طريق الإيمان بعد بداياتٍ أكثر مَيْلاً إلى الحياة منها إلى الشريعة بأحكامها، فَدَخلت في صراعٍ مع النفس، ولجأت إلى العلماء الذين اتّفقوا على مسألة الحجاب واختلفوا في مسألة الغناء، فآختارت الحجاب واستخدام الصوت فيما ينفع الناس أي الأغاني الدينية فقط.

*** وكوكب من الفنانات:**

وسرعان ما كبرت قافلة العائدات إلى الله لتشمل الفنانات أنفسهن بعد المطربات والراقصات فَبَعْدَ شمس البارودي، هَدَى الله «هُدَى رمزي» و «زبيدة ثروت» و «هالة فؤاد» و «مديحة كامل» و «هناء ثروت» و «كاميليا العربي» و «نسرين»، وكان لفضيلة الشيخ متولي الشعراوي المصري حفظه الله الأجر العظيم في مناقشة بعضهنّ ومساعدتهنّ.

ثانياً: توبة مغنى الـ POP الإنكليزي الشعبي كات ستيڤانس CAT STEVENS سابقاً[1]:

كات ستيڤانس هو مُغَنٍّ إنكليزي يمثل الأغاني الشعبية، اهتم كثيراً بالموسيقى في سِنّ الخامسة عشر فاشترى له والده قيثارة وبدأ هو بكتابة الأغاني، وما إن بلغ الثامنة عشر حتى لقيت اسطوانته الأُولى نجاحاً باهِراً وبدأت تُباع في كل مكان في أوروبا. غَرِق في شُرْب الخَمْر والتدخين كثيراً، ثم ما لبث أن أُصيب بداء السِّل الذي جعل حَدًّا لمهنته، فبقي في المستشفى بضعة أشهر. وفي أثناء إقامته بدأ بدراسة الفلسفة الشرقية وكان معه كتاب «**الطريق السرّي**» وهو عبارة عن أول مقدمة كانت له في علم النفس وكان ذلك كافِياً أن يجعله يبحث كما قال عن السِّلْم والمعرفة، وأخيراً قادته هذه الرحلة إلى أبواب الإسلام.

---

(١) انظر «**إسلامي**» حديث مع يوسُف إسلام ـ كات ستيڤنس سابقاً، المُغَنّي والموسيقار البريطاني المشهور نشر مؤسسة الريّان ـ بيروت. وشَريطَيْ الفيديو المُسَجَّلَيْن حَاوَره فيهما أحد المذيعين الأوروبيين عن ماضيه الغنائي وقصة إسلامه وأهدافه الجديدة وعداء المجتمع له بعد إسلامه، وهما مُترجمان إلى اللغة العربية.

فقد أسلم عن طريق أخيه «داود» الذي تَعرَّف للمرة الأولى على المسجد الأقصى وكان لم يَرَ مسجداً غيره من قَبْل، وقد وَجَدَ في المسجد جَوَّاً مخالِفاً تماماً لجوِّ الكنائس المسيحية والمعابد اليهودية، ومن هنا بدأ يَسْألُ نفسه ـ أي داود الأخ ـ لماذا يا ترى بقي هذا الدين خَفِيًّا علينا؟ لقد تأثَّرَ كثيراً بمعاملة المسلمين وبعبادتهم التي تبعث في النفس الهدوء والسكينة. وبمجرد ما رجع إلى لندن اشترى نسخة من القرآن الكريم وأهداها إلى أخيه لأنه يعرف في قرارة نفسه أنه في حاجة إلى هداية. فأعلن الأخُ إسلامه في أحد أيام الجمعة من شتاء ١٩٧٧م، وسمَّى نفسه يوسف إسلام.

وكل ذلك بعد نجاح عالمي في سن الحادية والعشرين حيث طارت شهرته في الآفاق وبعدما جعلته مجموعة إسطواناته المسماة «Tea for the Tillerman» «شاي للحراث» من أشهر الفنانين.

فحاربته شركات التسجيل الغنائية كثيراً، وناصبه الإعلام الغربي بالعداء، وأصدقاؤه وأهله في البداية، لكنه ثبت في وجه هذه الرياح الشرسة وأنشأ مسجداً في قلب العاصمة الإنكليزية وكرَّس نفسه لهداية الحيارى وتثبيت المؤمنين ونشر الدين، فتعلَّم اللغة العربية وَرَتَّلَ القرآن الكريم وحفظ الحديث واطلع على كتب التفسير والفقه، وأنشأ مدرسةً ضمت (١٠٠) تلميذاً، وألَّف لجنةً لرعاية أطفال أفغانستان وفلسطين والسودان فكان بحقّ من المجاهدين بوقته وماله ونفسه في سبيل الدعوة إلى الله.

وفي حديثٍ له نشرته مجلة المسلم في شهر آذار عام ١٩٨٠م، قال رَداً على بعض الأسئلة:

كنت مِثل السفينة التي تجري في البحر ولكن بدون اتجاه، ولمَّا قرأت القرآن الكريم أصبحت أشعر وكأنَّ القُرآن يخاطبني، وبقيت أقرأ لمدة تزيد عن السنة ونصف، ولم ألْتقِ أثناء تلك المُدَّة بأي مُسْلِم.

وانغمرت تماماً فيَّ رسالة القرآن، وكنت أعرف في قرارة نفسي أنه يتعيَّن عَلَيَّ إما أن أسلم نفسي كلياً، أو أواصل طريقي الخاص في الانشغال بالموسيقى. كان ذلك أصعب مرحلة مررت بها في حياتي.

مغني البوب الإنكليزي
يوسف إسلام قبل هدايته
كان اسمه كات ستيفنز
CAT STEVENS

تَوْبَةُ مغنِّي الـ POP الإنكليزي وإسلامه

يوسُف إسلام بعد هدايته بالعمامة في بداية الثمانينات يقول لمجلة النُّور بعد إسلامه:

«لم أَخْسَر...

كسبت مليار أخ مسلم»[١]

توبَةٌ نَصُوح، واعتزال الغناء والموسيقى، وبناء مسجد على نفقته في قلب العاصمة الإنكليزية (لُندن) ومدرسة لتعليم الإسلام

والداي صُدِما.. ثم أعجبهما سلوكي الخلقي

● في المدرسة الإسلامية التي أنشأها ١٠٠ تلميذ و٦٠٠ ينتظرون

● ألّفنا لجنة لرعاية أطفال أفغانستان وفلسطين والسودان

(١) مجلة «النور» السنة السابعة، العدد (٧٣)، الصفحة (٢٤ و ٢٦).

سؤال: الآن وقد أصبحت مسلماً، ما هي انطباعاتك عن المسلمين؟

جواب: أظنّ أن كثيراً من المسلمين ضَلُّوا الطريق لأنهم لم يتدبَّروا القرآن، فالقرآن الكريم رُوح العِلْم، بل هو العلم ذاته، فيه الهداية الحقّة لمن كان مستعداً لفهمه. . . .

وعلى المسلمين أن يتحدوا جميعاً كي يكتسبوا فهماً شاملاً وإدراكاً واسعاً للإسلام.

* * *

سؤال: ما مدى الصعوبة التي وجدتها في الإقلاع عن كثير من الأشياء التي كنت تمارسها؟

جواب: لم أجد صعوبة، لأني كنت أعلم علم اليقين أنه من الصالح أن أقلع عن هذه العيوب التي كانت في الحقيقة تُدَمِّرني مثل تناول الخمر، والتدخين والتعامل بالربا. . وعلاوة عن ذلك، فإن أصعب شيء وجدته هو فَصْلُ نفسي عن أصدقائي القُدامَى؟!. . حاولت أن أُحافظ على صداقتهم والاتّصال بهم. وأخيراً وصلت إلى مرحلة قرّرت فيها أنه من أجل ديني يَتَحَتَّمَ عَلَيَّ أن أضع حَدّاً يفصل بين حياتي الماضية وحياتي الحاضرة «الإسلام» مثلاً: إذا جمعني لِقاء مع من لا يَدينون بالإسلام، كنت أقول لهم: «معذرة»، ثم أغادر مجلسهم لأداء صلاتي، ما كنت أقول لهم إني ذاهبٌ للصّلاة، فكأن حركاتي تبدو غريبة لهم. وفي يوم من الأيام عَزَمْتُ أنْ أُعْلِمَ الجميع أني ذاهِبٌ لأداء الصلاة، وسرعان ما قبل الجميع ذلك واحترموني لأداء صلاتي.

* * *

سؤال: للغناء الشعبي أَتْباعٌ كثيرون حتى من بعض المسلمين، فما رأيك؟

جواب: من المؤسف أن الناس اليوم اُفْتُتِنُوا بشراء أشياء لإرضاء رغائبهم الدنيئة، فالاسطوانات والأفلام والأشرطة والمجلات لم يُقْصَدْ من ورائها إلاّ التجارة وجمع المال.

فالاستماع إلى الموسيقى الشَّعْبِيَّة بمثابة حُلْم ، إعتاق مُؤَقَّت للنفس، والناسُ الذين يميلون إلى هذا النوع من الموسيقى يحنون إلى الوحدة مع الواقع، لكن الموسيقى تمدهم بإسعاف قصير المدى، وما ذلك إلاّ فراراً من هذا النظام القاسي الذي نُسَمِّيه «الحياة العصرية».

* * *

سؤال: إذن هل أنهيت علاقتك بالموسيقى؟

جواب: لقد أوقفت كل نشاطاتي الموسيقية خوفاً من أن تلهيني عن الطريق المستقيم.

* * *

سؤال: إذن، ما تنوي أن تفعل الآن؟

جواب: في الواقع إني أعمل في سبيل الله، فهو الذي يرزقني، وهو الذي يَسَّر لي هذا الأمرُ.

وأرجو أن أكون أداة في إقامة الإسلام في بريطانيا بأي وسيلة كانت، وبكل ما أُوتيت من قُدْرة... وهذا هو مجال عملي في الوقت الحاضِر. إني أتعلّم العربية، ورغبتي الحقيقية هي أن أكون قادراً على فهم القرآن الكريم، فكثير من المسلمين يستطيعون القراءة باللغة الغَرْبية، ويعتبر ذلك شيئاً اعتيادياً بالنسبة لهم، أما بالنسبة لي، فالقرآن يجب أن يُفْهَم، إذ أنَّ كُلّ آية عبارة عن توجيه وإرشاد وهي بمثابة سورة في حدِّ ذاتها.

ولقد أشعر بالحزن والأَسَى الكثير تجاه معاملة الناس للقرآن، إذ لا يَتَدَبَّرُونَهُ بإمعان، والحال أنه كلام الله عز وجل لكل زمان، ويحتلّ مكان الصدارة في قلب كل مؤمن حقيقي.

* * *

سؤال: ماذا تعتقد في نشاطات الدعوة بين الناس غير المسلمين في بريطانيا؟

جواب: يجب أن نكون يقظين في أن لا نتبع المثل التي سار عليها المسيحيون في هذا الموضوع. إنها مسؤولية كبيرة ملقاة على عاتقنا جميعاً، ورسالة الإسلام يجب أن لا تُبَلَّغ باللسان فقط. فعلينا أن نتأكّد أولاً من صحة أعمالنا، ثم ندعو إلى سبيل الله كما قال رسول الله ﷺ: «بَشِّروا ولا تُنَفِّروا، ويَسِّروا ولا تُعَسِّروا»[1]. ولتكن دعوتنا بسيطة وواضحة ﴿قل هو الله أحد﴾ لا تُحاوِل أن تُبَلِّغَ رِسَالَةَ الإسلامِ دُفْعَةً وَاحدةً. فَعَن معاذ رضي الله عنه قال: «بعثني النبي ﷺ إلى اليمن فقال: إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فَادْعُهُم إلى شهادة أن لا إلٰه إلاّ الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك: فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك: فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تُؤخذ من أغنيائهم فَتُرَدُّ إلى فقرائهم، فإن هم أطاعوا ذلك: فإياك وكرائم أموالهم، واتَّقِ دعوة المظلوم فإنّه ليس بينها وبين الله حجاب».

يجب على المسلم أولاً أن يكون ذا سجيَّةٍ طيِّبة، لطيفاً وكريماً، وهذه صفات كان يَتَّصِف بها الرسول عليه الصلاة والسلام. فلو أجرينا مع الناس مناقشات منطقية لوافقونا بادىء الأمر، ثم لم يلبسوا أن ينسوا كل شيء بمجرد انصرافهم لأنهم لم يروا منّا الأعمال. فلقد سُئِلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِ رسول الله ﷺ فقالت «كان خُلُقُه القُرآن» يعني: التأدّب بآدابه والتخلُّق بمحاسنه، والالتزام بأوامره وزواجره ـ هذا هو المفتاح.

* * *

سؤال: ولكن الدعاية ضد الإسلام في هذا البلد عن طريق وسائل الإعلام كبيرة جدّاً، كما يتعذَّر على كثير من الناس التعرّف عليه، فكيف يمكن إذن الوصول إليهم، أو على الأقل كيف نعرّفهم حقيقة الإسلام؟

---

(١) رواه البخاري في «الصحيح» (١/ ١٦٣) عن أنس، (٣)ـ كتاب العلم، (١١) باب ماكان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة الحديث رقم (٦٩).

جواب: أودّ أن أُبيِّن أن الناس لهم القدرة في تكوين آرائهم؛ إذ ليسوا جميعاً أغبياء لتصديق كل ما يقرؤون أو يسمعون من أخبار، ولكن إذا رأوا بعض العادات السَّيِّئة تظهر في أفعال المسلمين أنفسهم، فمن المحتمل أنهم يُصدِّقون ما يقرؤون.

الفصل الثامن: خلاصة البحث

١ ـ أهمية الإفتاء وعظيم خطره وفَضْلِهِ:

إنَّ الجُرأة في الفَتْوى مُصِيبة سواءٌ في الإباحة أو في الحُرْمَة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾[(٢)].

وقال ﷺ: «أجْرَؤكم على الفُتْيا أجْرَؤكم على النّار»[(٣)].

وعن الشَّعْبيّ قال: لا أدْري: نصف العلم[(٤)]. قال الإمام النَّوويّ في «**آداب الفتوى والمفتي والمُسْتَفْتِي**»: «ولهذا قالوا: المُفْتِي مُوَقِّعٌ عن الله تعالى.

وعن ابن المنكدر قال: العالِمُ بين الله تعالى وخَلْقِهِ، فَلْيَنْظُر كيف يَدْخُل بينهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهم: «مَنْ أَفْتَى في كل ما يُسأل فهو مجنون».

وعن الإمام الشافعِيّ، وقد سُئِلَ عن مسألةٍ فلم يُجِبْ؛ فقيل له، فقال: حتى أدْري أنَّ الفضل في السُّكُوت أو الجواب.

وعن الإمام مالك أنه رُبَّما كان يُسْأل عن خمسين مَسْأَلة، فلا يُجيب في واحدةٍ منها، وكان يقول:

«مَنْ أجابَ في مسألةٍ فينبغي قبل الجواب أن يَعْرِضَ نفسه على الجَنَّة والنَّار، وكيف خَلاَصُهُ ثم يجيب»[(٥)]. انتهى كلام النووي.

قالَ حُجَّة الإسلام: فَانظر كيف انعكس الحال، صار المَرْهوبُ منه مطلوباً والمطلوب

---

(١) سورة النحل، الآية: (١١٦).

(٢) سورة يونس، الآية: (٥٩). قال الزمخشري في «**الكشاف**» (٢/ ١٩٥): «وكَفى بهذه الآية زاجرة زَجْراً بليغاً عن التَّجَوُّزِ فيما يُسْئَل عنه مِنَ الأحكام، وباعِثة على وجوب الاحتياط، وأنْ لا يقول أَحَدٌ في شيء جائز أو غير جائز إلاّ بعد إيقان وإتقان، ومن لم يوقِنْ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وليصمت، وإلاّ فهو مُفْتَرٍ على الله» انتهى كلام الزمخشري.

(٣) رواه الدّارمي في «السنن» (١/ ٥٧) من المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشِّدة. وذكره المناوي في «**فيض القدير**» (١/ ١٥٨) عن عبيد الله بن أبي جعفر مُرْسلاً.

(٤) الزبيدي «**إتحاف السادة المتقين**» (١/ ٣٩٣).

(٥) النووي «**آداب الفتوى والمفتي والمستفتي**» بعناية بسام عبد الوهاب الجابي الصفحة (١٤ ـ ١٦).